

# التبرّك

## على ضوء الكتاب والسنة

تأليف: الفقيه الشيخ جعفر السبحاني

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

الطبعة الأولى 1431 هـ




# التبرك
# على
# ضوءِ الكتاب والسنّة

# التبرك

# على

# ضوءِ الكتاب والسنّة

تأليف

الفقيه

الشيخ جعفر السبحاني

منشورات

مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

اسم الكتاب: ............ التبرك على ضوء الكتاب والسنة

المؤلف: ............ العلّامة الفقيه الشيخ جعفر السبحاني

الطبعة: ............ الأولى

تاريخ الطبع: ............ ١٤٣١ هـ. ق

الناشر: ............ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

عدد النسخ: ............ ٢٠٠٠ نسخة

القطع: ............ رقعي

عدد الصفحات: ............ ٤٢ صفحة

التنفيذ والإخراج الفني: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام - السيد محسن البطاط

مركز التوزيع

قم المقدسة

ساحة الشهداء ؛ مكتبة التوحيد

☎: ٧٧٤٥٤٥٧ ؛ ٠٩١٢١٥١٩٢٧١

http://www.imamsadeq.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الطاهرين. والسلام على عباد الله الصالحين.

أما بعد فهذه رسالة وجزية تتضمن حكم التبرك باثار الأنبياء والأولياء وما في الحرمين الشريفين من الاركان والأبواب والجدران الّتي كثر الكلام فيها من قِبل المتطرفين الذين لا يهمهم إلّا رأي إمامهم ومؤسس منهجهم، تاركين كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ وأحادث أهل بيته عليهم السلام، وكان منطلقنا في هذه الدراسة هو كتاب الله العزيز وسنة نبيّه الكريم ﷺ وعلى الله نتوكل وإليه ننيب.

فنقول:

## التبرك لغةً

التبرك مأخوذ من «برك» وله معنيان:

١. الثبات والدوام، كما يقال: وبارك على محمد وعلى آل محمد أي أثبت وأدم ما آتيتهم من التشريف والكرامة.

٢. الزيادة والنمو.[١] ويناسب المعنى الثاني قوله تعالى: ﴿وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿الذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[٣].

ويقال في المثل: بارك الله الشيء وبارك فيه وعليه. ففي المواراد المشار إليها، خير مكنون يزيد وينمو على مرّ الزمان. ويقصده المتبرِّك.

## التبرك أصطلاحاً

التبرك اصطلاحاً هو طلب ثبوت الخير الإلهي في الشيء[٤].

١. مقاييس اللغة: ١ / ٢٢٧؛ النهاية في غريب الحديث: ١ / ١٢٠.

٢. الانعام: ١٥٥.

٣. الاسراء: ١.

٤. الموسوعة الكويتية: ١٠ / ٦٩.

وعلى هذا فالمتبرِّك بالقرآن وبالآثار المتبقية عن الأنبياء والأئمة، يطلب الخير الإلهي، وكأن هذه الأُمور تحمل في ذاتها خيراً ينمو ويزداد، يطلبه المتبرّك.

## ١. التبرك في الأُمم السالفة

يظهر من الآيات والروايات أن التبرك بآثار الأنبياء كان رسماً شائعاً عند الأُممّ السالفة، فكانوا يطلبون الخير تارة من الأسباب الطبيعية، وأُخرى من الأسباب غير الطبيعية.

وبعبارة أُخرى: ان الخير في كلا الموردين بيد الله تعالى لقوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾[1]، ولكنه ينزل ضمن أسباب خاصّة، تارة عادية طبيعية، وأُخرى على خلاف العادة، وطالب الخير تارة يقصده من القسم الأوّل وأُخرى من الثاني والسيرة جارية على هذا في أكثر الأُممّ.

يذكر صاحب تاريخ الخميس في خلافة «المتقي لله» القصة التالية: في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ارسل ملك الروم يطلب منه ـ المتقي ـ منديلاً زعم أن المسيح مسح به

١. آل عمران: ٢٦.

وجهه، فصارت صورة وجهه فيه وكان هذا المنديل في كنيسة الرهبان وأرسل ملك الروم يقول: إن أرسلت هذا المنديل أطلقت لك عشرة آلاف أسير من المسلمين.

فأحضر المتقي الفقهاء واستفتاهم فقالوا: أرسل إليهم هذا المنديل، ففعل وأطلق الاسراء.[١]

وما نقله الدياربكري يكشف عن وجود التبرك عند المسيحيين وقد ورثوا الفكرة عن آبائهم وأجدادهم.

وقد ورد لفظة «بارك» ومشتقاتها كثيراً في الكتاب المقدس ومنه: «بركة هارون وبنيه لبني إسرائيل» (عد ٦: ٢٣ ـ ٢٧) وقد بارك المسيح تلاميذه قبل ان يصعد. (انجيل لوقا: ٢٤: ٥٠، ٥١).[٢]

## ٢. التبرك في القرآن الكريم

وقد ذكر القرآن الكريم التبرك في عديد من الآيات نذكرها تباعاً:

١. هذا هو نبي الله يعقوب الّذي تبرك بقميص يوسف،

---

١. تاريخ الخميس: ٢ / ٣٥٢.

٢. قاموس الكتاب المقدس: ١٧١.

قال تعالى حاكياً عن يوسف: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]. ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٢].

فالله سبحانه هو الّذي جدّد بصر يعقوب بعدما كُفَّ، لكن بسبب خاص وهو قميص ولده يوسف.

وأما ما هي الصلة بين القميص المنسوج من القطن وإعادة البصر إلى يعقوب فغير معلومة لنا، وعلى كل تقدير فللقميص وإرادة يوسف مدخلية في إعادة البصر باذن من الله سبحانه.

٢. تبرك بني إسرائيل بصندوق العهد، أي التابوت، والتابوت هو الصندوق الّذي صنعه موسى ﷺ بأمر الله تعالى وقد وصفه في قاموس الكتاب المقدس بأن طوله كان ذراعين ونصفاً وعرضه ذراعاً ونصفاً وارتفاعه ذراعاً ونصفاً، وكان في التابوت، الوعاء الّذي يحتوي على المنّ، وعصا هارون الّتي افرخت، ولوحا العهد وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبة.[٣]

---

١. يوسف: ٩٣.　　٢. يوسف: ٩٦.

٣. قاموس الكتاب المقدس: ٢٠٩.

ويصفه سبحانه بقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ﴾[١].

قال الطبرسي: إن التابوت كان [ هو ] الّذي أنزله الله على أُم موسى فوضعت فيه ابنها وألقته في البحر وكان في بني اسرائيل معظماً يتبركون به، فلما حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة، وأودعه عند وصيه يوشع بن نون فلم يزل التابوت بينهم، وبنوا إسرائيل في عزّ وشرف ما دام فيهم [٢].

وقال السيوطي: كان في التابوت عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ولوحان من التوراة والمّن وكلمة الفرج «لا آله إلّا الله الحليم الكريم، وسبحان الله رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، والحمدلله رب العالمين» [٣].

وعلى كل تقدير فقد كان بنوا إسرائيل يتبركون به ويحملونه عند مواجهة الاعداء فينتصرون، وكفى في قداسة

---

١. البقرة: ٢٤٨.

٢. مجمع البيان: ١ / ٦١٤، ط. بيروت.

٣. الدرر المنثور: ١ / ٧٧٨.

التابوت أنّه سبحانه يقول: ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ﴾ وقصة التابوت وكيفية غلبة العمالقة على بني إسرائيل وأخذ التابوت منهم، مذكورة في التفاسير، والله سبحانه وعدهم بانّهم لو قاتلوا مع ملكهم طالوت، يسترجع إليهم التابوت وتحمله الملائكة إليهم يقول: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ﴾[1] أي ان آية ملك (طالوت) هو أنّه يحارب الأعداء ويسترجع التابوت الّذي تحمله الملائكة فيرونه بنوا إسرائيل عياناً.[2]

***

٣. التبرك بأصحاب الكهف، فعندما يذكر الله سبحانه وتعالىٰ أصحاب الكهف والرقيم في سورة الكهف يبتدأ ببيان قصتهم بالآية التاسعة ويختمها بالآية ٢٦.

وقد نزلت هذه الآيات لتشد قلوب المؤمنين وتثبت الإيمان فيها وذلك بالوقوف على مصير أصحاب الكهف الذين تركوا متاع الحياة الدنيا وزينتها وهجروا مجتمعهم الغارق في الوثنية والتجأوا إلى كهف ضيّق موحش من أجل أن تبقىٰ

---

١. البقرة: ٢٤٨.

٢. مجمع البيان: ١ / ٦١٥.

قلوبهم عامرة بالعقيدة الصحيحة، متوهجة بحرارة الإيمان.

فلما علم سبحانه صدقهم وثباتهم في طريق التوحيد شملتهم عناية الله تبارك وتعالى فالتجأوا إلى الكهف، فاطبق الله سبحانه على آذانهم فناموا سنين طويلة ، وبذلك خلصوا من مكائد الملك واعوانه الذين كانوا يروجون الوثنية ويحاربون الموحدين، فلما بعثهم الله سبحانه بعد مضي ثلاثة قرون وانكشف أمرهم للناس، وثبت ان وعد الله حق حيث ان ايقاظهم الّذي يشبه البعث والاحياء بعد انامتهم الّتي تُشبه الموت، أقوى دليل على قدرته سبحانه على ان يبعث الناس يوم القيامة ثم انّه بعدما تبين ما هو الغرض من إنامتهم وايقاظهم أماتهم الله سبحانه واختلف الناس في حقهم وفي شأنهم، فذهب فريق منهم إلى اغلاق باب الكهف وسترهم عن أعين الناس وجعلهم وراء البنيان وإلى هذا يشير قوله سبحانه: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾[1] والقائلون بذلك هم الأقلية الوثنية ارادوا بذلك أن يخفوا أمرهم لكي ينساه الناس ولا يتحدثون به، وقالوا ـ تحقيراً بشأنهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾[2]، وقال الفريق الآخر أي : ﴿الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ ﴾[3] أي على أمر القائلين

---

١ ـ ٣. الكهف: ٢١.

بالاقتراح الأوّل: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾[1] تتعبدون فيه لله سبحانه تبركاً بتربتهم وهذا يدل على أمرين:

١. جواز بناء المساجد على قبور الأولياء .

٢. جواز التبرك بتربة القبور لأن القرآن يذكر ذلك من دون ردّ واعتراض، بل يظهر منه التأييد والموافقة.

---

١. الكهف: ٢١.

## تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ

ذكر أصحاب السير والتاريخ تبرك الصحابة بأنواع متعددة من آثار النبي ﷺ نظير: «التبرك بماء وضوئه، وبريقه، وبنخامته، وبدمه، وبشعره، وبسؤره، وبطعامه، وبأظافره، وبلباسه، وبأوانيه، وبما لمسه، وبمصلاه»، هذا ما جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: ١٠ / ٧٠ ـ ٧١، ولكن الموارد أوسع ممّا ذكر هناك، ولأجل الإشارة إلى شيء منها، نذكر بعض النصوص:

### ١. التبرك بماء وضوئه ﷺ

أرسلت قريش عروة بن مسعود الثقفي ليمثّلها في صلح الحديبية مع رسول الله ﷺ، وكلمه رسول الله بنحو ما كلّم به أصحابه وأخبره أنّه لم يأت يريد حرباً وبعدما تمت المذاكرة بين الطرفين قام عروة من عند رسول الله ﷺ وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضّأ، إلّا ابتدروا وضوءه، ولا يَبْصق بُصاقاً إلّا ابتدروه. ولا يسقط من شعره شيء إلّا أخذوه. فرجع

إلى قريش، فقال يا معشر قُريش، إني قد جئت كِسْرى في مُلكه، وقيصر في مُلكه، والنجاشيٍّ في مُلكه، وإني والله ما رأيت مَلِكاً في قوم قط مثلَ محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يُسلمونه لشيء أبداً، فَرَوا رأيكم.[1]

## ٢. التبرك بقدحه

اخرج البخاري في صحيحه عن أبي حازم عن سهل بن سعد، انّه قال: فاقبل النبي ﷺ يومئذٍ حتّى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: اسقنا يا سهل، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقيتهم فيه [ وقال أبو حازم ] فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك فوهبه له.[2]

## ٣. التبرك بسؤره

روى أحمد بن حنبل عن أبي صالح عن أم هاني أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فأتته بشراب، فشرب منه، ثم

---

١. السيرة النبوية لابن هشام: ٣ / ٣٢٨.

٢. فتح الباري: ١٠ / ٩٨، برقم ٥٦٨٧.

فضلت منه فضلة، فناولها فشربته، ثم قالت: يا رسول الله، لقد فعلت شيئاً ما أدري يوافقك أم لا؟ قال: «وما ذاك يا أُمّ هاني؟»، قالت: كنت صائمة فكرهت أن أرد فضلك فشربته، قال: «تطوعاً أو فريضة؟» قالت: قلت: بل تطوّعاً، قال: «فإنّ الصائم المتطوع بالخيار إن شاء صام، وإن شاء أفطر» (١).

## ٤. التبرك بمنبره

سأل عبدالله بن أحمد عن أبيه قال: سألته عن الرجل يمسّ منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسّه، ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو ذلك، يريد بذلك التقرب إلى الله جلّ وعزّ، فقال: «لا بأس بذلك» (٢).

وعلق محقّق كتاب (العلل ومعرفة الرجال) على هذا الحديث وقال: أما مسّ منبر النبي ﷺ فقد أثبت ابن تيمية ـ في الجواب الباهر لزوار المقابر ـ فعله عن ابن عُمر، دون غيره من الصحابة، وروى أبو بكر بن أبي شيبة في المصنّف (٤ / ١٢١) عن زيد بن الحباب قال حدّثني أبو مودود قال: حدثني يزيد بن

---

١. مسند أحمد: ١٠ / ٣٩١، برقم ٢٧٤٥٤. ط. دار الفكر بيروت.

٢. العلل ومعرفة الرجال: ٢ / ٤٩٢، برقم ٣٢٤٣.

عبدالملك بن قسيط، قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رُمّانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا، قال: ورأيت يزيد بفعل ذلك».؟

وقال الكرماني حول قول عمر: عندما جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال اني أعلم انك حجر لا تضرّ ولا تنفع ولولا اني رأيت النبي يقبلك ما قبلتك: «واما تقبيل الاماكن الشريفة على قصد التبرك وكذلك تقبيل ايدي الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصد والنية وقد سأل أبو هريرة الحسن رضي الله عنه ان يكشف له المكان الّذي قبله رسول الله ﷺ وهوسرته فقبله تبركاً بآثاره وذريته ﷺ وقد كان ثابت البناني لا يدع يد انس رضي الله عنه حتّى يقبلها ويقول يد مست يد رسول الله وقال أيضاً واخبرني الحافظ أبو سعيد ابن العلائي قال رأيت في كلام أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ ان الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل منبره فقال لا بأس بذلك قال فاريناه للشيخ تقي الدين بن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول عجيب أحمد عندي جليل يقوله هذا كلامه أو معنى كلامه وقال واى عجب في ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد انّه غسل قميصاً للشافعي وشرب

الماء الّذي غسله به وإذا كان هذا تعظيمه لأهل العلم فكيف بمقادير الصحابة وكيف بآثار الأنبياء عليهم السلام ولقد احسن مجنون ليلى حيث يقول:

أمرّ على الديار ديار ليلى
اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وماحب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا[1]

## ٥. التبرك بالدنيانير الّتي لمسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اخرج أحمد في مسنده عن جابر بن عبدالله قال كنت مع النبي في سفر إلى ان قال: وكنت على جمل فاعتلّ قال: فلحقني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا في آخر الناس قال: فقال: «مالكَ يا جابرُ؟» قال: قلت اعتلّ بعيري قال: فأخذ بذنبه ثم زجره قال: فما زلت إنّما أنا في أوّل الناس يهمني رأسه فلما دنونا من المدينة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما فَعَلَ الجملُ؟» قلت: هو ذا قال: «فبعنيه» قلت: لا بل هو لك قال: «بعنيه» قال: قلت: هو لك قال:

١. عمدة القارئ: المجلد ٥ الجزء ٩ / ٢٤١.

«لا، قد أخذته بأوقيةٍ، اركبه فإذا قدمتَ فائتنا بـه» قـال: فـلما قدمت المدينة جئت به فقال: «يا بلال زن أوقيةً وزده قيراطاً» قال: قلت: هذا قيراط زادنيه رسول الله ﷺ لا يـفارقني أبـداً حتّى أموت قال: فجعلته في كيس فلم يزل عني حتّى جاء أهل الشام يوم الحرة فأخذوه فيما أخذوا.(١)

## ٦. التبرك بالعصا الّتي أعطاها النبي ﷺ

روى أحمد في مسنده عن عبدالله بن أنيس في حديث فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال: «أفـلح الوجـه». قال: قلت: قتلته يا رسول الله قال: «صادقت». قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عـصاً فـقال: «أمسك هذه عندك، يا عبدالله بن أنيس». قال: فخرجت بها على الناس فقالوا:ما هـذه العـصا؟ قـال قـلتِ: أعـطانيها رسـول الله ﷺ وأمرني أن أمسكها قالوا: أو لا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتساله عن ذلك؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: «آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقل الناس المتخصّرون يومئذٍ يوم القيامة». فقرنها عـبدالله

---

١. مسند أحمد: ٥ / ٥١ ـ ٥٢ برقم ١٤٣٨٣.

بسيفه فلم تزل معه حتّى إذا مات أمر بها فصبت معه في كفنه ثم دفنا جميعاً.[(١)]

## التبرك بقميص النبي ﷺ

روى ابن عبد البّر في ترجمة فاطمة بنت أسد بن هاشم، قال: أسلمتْ وهاجرتْ إلى المدينة وتوفيت بها، وقال الزبير: هي أوّل هاشمية ولدت لهاشمي. قال: وقد أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله وماتت بالمدينة في حياة النبي ﷺ وشهدها رسول الله ﷺ، قال أبو عمر: روى سعدان بن إلوليد السابري عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ألبسها رسول الله ﷺ قميصه واضطجع معها في قبرها فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها، إنّما ألبستها قميصي لتكسي من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها»[(٢)].

---

١ . مسند أحمد: ٥ / ٤٣١ برقم ١٦٠٤٧.

٢ . الإصابة: ٤ / ٣٦٨ والاستعات بهامش الاصابة: ٤ / ٣٧٠.

## التبرك بالبردة المهداة

قدم كعب بن زهير على الرسول ﷺ وأنشد قصيدته اللامية المعروفة الّتي مستهلها:

بانت سعاد فقلبي اليوم مبتول    متيّم إثرها لم يُفد مكبول

وجاء فيها قوله:

كل ابن انىٰ وإن طالت سلامته
يوماً على آلةٍ حدباء محمول
أُنبئت أنّ رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمول
إنّ الرسول لنور يستضاء به
مهنّد من سيوف الله مسلول

قال الدياربكري: رمىٰ عليه رسول الله ﷺ بردة كانت عليه، وأن معاوية بذل له فيها عشرة آلاف مثقال، فقال ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً فلما مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم. قال: وهي البردة الّتي عند السلاطين إلى اليوم.[1]

---

١. تاريخ الخميس: ٢ / ١٣١.

## ٧. التبرك بالقبر الشريف

أخرج الحاكم في مستدركه عن داود بن أبي صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلاً واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته وقال: أتدري ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري ﷺ فقال: جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (يعني البخاري ومسلم) [١].

وروى السمهودي عن أبي الجوزاء قال: قُحِطَ أهلُ المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: فانظروا قبر النبي ﷺ فاجعلوا منه كُوَّةً إلى السماء حتّى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتّى نَبَتَ العُشْبُ وسمنت الإبلُ حتّى تفتقت من الشحم، فسمي عام الفتق.

قال الزين المراغي: واعلم أن فتح الكُوَّة عند الجَدْب سُنَّةٌ

---

١. مستدرك الحاكم: ٤ / ١١٥، كتاب الفتن والملاحم.

أهل المدينة حتّى الآن، يفتحون كوة في سفل قبة الحجرة: أي القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة، وإن كان السقف حائلاً بين القبر الشريف وبين السماء.

**قلت:** وسنّتهم اليوم فتحُ الباب والمواجهِ للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة، والاجتماع هناك، والله أعلم.(١)

## ٨. التبرك بالمواضع الّتي صلى فيها الرسول ﷺ

أخرج البخاري عن مولى بن عقبة قال رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنّه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة وحدثني نافع عن ابن عمر أنّه كان يصلي في تلك الأمكنة وسألت سالماً فلا أعلمه إلّا وافق نافعاً في الأمكنة كلها إلّا أنهما أختلفا في مسجد بشرف الروحاء .(٢)

---

١. وفاء الوفاء: ١ / ٥٦٠.

٢. صحيح البخاري: برقم ٤٨٣.

## ٩. التبرك بخاتم النبي ﷺ

روى عبدالرزاق عن معمر، قال: أخرج إلينا عبدالله بن محمد (بن) عقيل خاتماً نقشه تمثال، وأخبرنا أن النبي ﷺ لبسه مرّة أو مرّتين، قال: فغسله بعض من كان معنا فشربه.[١]

## ١٠. التبرك بالمسح واللمس

كانت الصحابة يطلبون من النبي ﷺ أن يمسح على رؤوسهم ويبارك لهم، ومن هؤلاء زياد بن عبد اللّه بن مالك الهلالي، قال ابن حجر: فدخل زياد منزل ميمونة أُمّ المؤمنين وكانت خالته ... فقالت يا رسول اللّه ﷺ: إنّه ابن أُختي، فدعاه فوضع يده على رأسه ثمّ حدرها على طرف أنفه، فكان بنو هلال يقولون: ما زلنا نعرف البركة في وجه زياد.

ثمّ قال ابن حجر: وذكر ابن سعد القصة مطولة عن هشام بن الكلبي... وقال الشاعر لعلي بن زياد المذكور:

يا ابن الذي مسح الرسول برأسه

ودعا له بالخير عند المسجد

---

١. المصنف لعبدالرزاق الصنعاني: ١ / ٣٤٧.

مــازال ذاک النــور فــي عـرنينه

حــتىٰ تــبوّأ بـيته فـي مـلحد[١]

هذه عشرة كاملة اقتصرنا بها ومن اراد التفصيل فليرجع إلى كتابين تالیين فقه بلغا الغاية:

١. «تبرّک الصحابة بآثار النبي والصالحين» للعلاّمة المحقّق والمؤرّخ الخبير محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود المكـي، طبع الكتاب في القاهرة، مطبعة المدني، عام ١٣٨٥هـق .

٢. «التبرک» بقلم المحقّق الخبير آية اللّٰه علي الأحمدي الميانجي(١٣٤٤ـ ١٤٢١هـ)، فقد تتبّع ﴿ في كتابه هذا وبنحو يثير الإعجاب حقّاً ـ المسألة من جميع أبعادها التاريخية والحديثية و...، وأثبت بما لا مزيد عليه وبنحو لا يدع للترديد أو الشكّ مجالاً في أنّ سيرة المسلمين عامّة والصحابة والتابعين خاصة كانت قائمة على التبرّک بآثار النبي والصالحين.

---

١. الإصابة: ٥٣٩/١ـ ٥٤٠، رقم الترجمة ٢٨٥٦.

# التبرك في روايات أهل البيت عليهم السلام

قد ذكرنا فيما مضىٰ من الصفحات التبرك في السنة النبوية ومصادر التاريخ والآن نذكر ما ورد عن أئمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهم أعلم بما فيه .

## ١. التبرك باسم الله جل وعلا

روى الإمام الحسن بن علي العسكري عن آبائه عن علي عليه السلام في حديث ـ أنّ رجلاً قال له: إن رأيت أن تعرّفني ذنبي الّذي امتحنت به في هذا المجلس، فقال: «تركك حين جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحيم، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدّثني عن الله عزّوجلّ أنّه قال: كلّ أمر ذي بال لا يذكر بسم الله فيه فهو أبتر» [١].

---

١ . تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٢٤ و ٢٥ ؛ الوسائل: (كتاب الصلاة)، الباب ١٧ من أبواب الذكر، الحديث ٤ .

## ٢. التبرك بالقرآن الكريم

روى الكليني بسنده عن ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: البيت الّذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما تضيء الكواكب لأهل الأرض، وإنّ البيت الّذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزوجل فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين»[١].

## ٣. التبرك بماء وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام، عن الإمام الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام عن جابر بن عبدالله قال: كان رسول في قبّة من أدم وقد رأيت بلالاً الحبشيّ وقد خرج من عنده ومعه فضل وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابتدره الناس، فمن أصاب منه شيئاً تمسّح به وجهه، ومن لم يُصب منه شيئاً أخذ من يدي صاحبه فمسح به وجهه، وكذلك فعل بفضل وضوء أمير المؤمنين عليه السلام.[٢]

---

١. أُصول الكافي: ٢ / ٦١١، كتاب فضل القرآن.

٢. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٢٧؛ بحار الأنوار: ١٧ / ٣٣، برقم ١٥.

## ٤. التبرك بقبر النبي ﷺ

روى الكليني بسنده عن علي بن جعفر عن أخيه أبي الحسن موسى عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقف على قبر النبي ﷺ فيسلم عليه ويشهد له بالبلاغ ويدعو بما حضره، ثمّ يسند ظهره إلى العروة الخضراء الدقيقة العرض ممّا يلي القبر، ويلتزق بالقبر ويسند ظهره إلى القبر، ويستقبل القبلة فيقول: «اللّهم إليك ألجأت ظهري، وإلى قبر نبيّك محمّد ﷺ عبدك ورسولك أسندت ظهري، والقبلة الّتي رضيت لمحمّد ﷺ استقبلت، اللّهم إنّي أصبحت لا أملك لنفسي خير ما أرجوه، ولا أدفع عنها شرّ ما أحذر عليها، وأصبحت الأُمور بيدك فلا فقير أفقر منّي، ربّ إنّي لما أنزلت إليّ من خير فقير، اللّهمّ اردني منك بخير فإنّه لا رادّ لفضلك، اللّهم إنّي أعوذ بك من أن تبدّل اسمي، أو تغيّر جسمي، أو تزيل نعمتك عندي، اللّهمّ كرّمني بالتقوى، وجمّلني بالنعم، وأعمرني بالعافية، وارزقني شكر العافية».[١]

---

١. الوسائل: ١٤، (كتاب الحج)، الباب ٦ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٢.

وروى الكليني ـ أيضاً ـ عن أبن فضّال قال رأيت أبا الحسن (الرضا) عليه السلام وهو يريد أن يودع للخروج إلى العمرة فأتى القبر من موضع رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد المغرب فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولزق بالقبر، ثمّ أتى المنبر، وانصرف حتّى أتى القبر فقام إلى جانبه يصلّي، وألصق منكبه الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة الّتي دون الأسطوانة المخلقة الّتي عند رأس النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصلّى ستّ ركعات ـ أو ثماني ركعات ـ في نعليه.(١)

وروى الكليني بسنده عن معاوية بن عمّار قال قال أبو عبدالله عليه السلام: «إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فائت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنّه يقال: إنّه شفاء للعين، وقم عنده فاحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنّة، ومنبري على ترعة من ترع الجنّة ـ والترعة هي الباب الصغير ـ ثمّ تأتي مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتصلّي فيه ما بدا لك».(٢)

---

١ . الوسائل: ١٤، كتاب الحج، الباب ١٥ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ٣.

٢ . الوسائل: ١٤، كتاب الحج، الباب ٧ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ١ .

# شبهة القائلين بحرمة التبرك

لما وقف القائل بمنع التبرك على هذه الروايات الهائلة الحاكية عن تبرك الصحابة بآثار النبي ﷺ، حاول أن يتخلّص من ذلك بالوجهين التاليين:

**الأوّل:** التبرك مخصوص بآثار النبي ﷺ في حال حياته لا بعد رحيله [١].

ولسائل أن يسأل القائل هل كان التبرك بآثار النبي ﷺ في حال حياته أمراً عبادياً يتقرّب به إلى الله سبحانه أو كان عملاً عادّياً ـ لا عبادّياً ـ نظير الأعمال الّتي يقوم بها الناس حسب فطرتهم؟ فعلى الأوّل يكون التبرّك عندئذٍ شركاً يعدّ نوع عبادة للغير فلا يجوز للنبي أن يقرّه فيسكت عنه أو أن يدعمه بدفع العصا وغيرها، كيف وقد وصف سبحانه الشرك بأنّه ظلم عظيم؟ قال سبحانه مخاطباً لنبيّه: **﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾** [٢] وعلى هذا فلا محيص من ردّ هذا الفرض.

---

١. التبرك والتوسل والصلح مع العدوّ الصهيوني: ٤٠. والقائل عبدالعزيز بن باز مفتي السعودية سابقاً.

٢. الزمر: ٦٥.

وعلى الثاني أي كون التبرك أمراً عاديّاً يطلب المتبرك الخير من مورده كما يطلب الخير من سائر الأُمور فلا يصحّ تخصيص الجواز بآثار النبي لأن المفروض أنّه خارج عن إطار العبادة وداخل تحت الأُمور العاديّة.

إن التبرك بآثار الأولياء والعلماء والأخيار أمر فطري للناس ولذلك تبرّكت بنو إسرائيل بتابوت موسى كما تبرّك الموحدون بأصحاب الكهف ببناء المسجد على قبورهم والعبادة فيه وقد مرّ أن إمام الحنابلة أحمد بن حنبل تبرك بماء غسل فيه قميص الشافعي [1] وقد جاء في بعض الروايات أن في سؤر المؤمن شفاء [2] ونقل بعض الثقات أنّه شارك في ضيافة أقامها الشيخ عبدالعزيز بن باز لجماعة من العلماء وهو منهم ورأى بأُم عينيه أن أصحاب المفتي في نهاية الأمر تسابقوا إلى سؤر طعامه، أفيصحّ بعد ذلك تخصيص التبرك بآثار النبيّ؟

**الثاني:** أن التبرك يختصّ بما مسّ جسده الشريف.

ان التبرك بما مسّ جسده ﷺ من ماء وضوء أو عَرَق أو

---

١. مرّ ص ١٩.

٢. الوسائل: ج ٢٥، الباب ١٨ من أبواب الاشربة المباحة، الحديث ١.

شعر، فهذا معروف وجائز عند ا لصحابة لما في ذلك من الخير والبركة. وهذا قد أقره النبي دون ما لم يمسّ جسده.[١]

وعلّق محقّق كتاب الإمام أحمد باسم «العلل ومعرفة الرجال» فقال في الهامش: وأن هذا كان لمّا كان منبره الّذي لامس جسده الشريف، أمّا الآن فقد تغيّر، لا يقال بمشروعيّة مسه تبركاً به.[٢]

**يلاحظ عليه أوّلاً:** أن تخصيص التبرك بالآثار مسّها جسد النبي المطهّر لا يخلو من وجهين:

١. إن لجسده المطهّر تأثيراً في نشوء الخير وزيادة النعمة. وهذا الوجه مرفوض بما عليه علماء السنّة وبالأخص فقهاء الحنابلة، لأنّهم ينكرون أيّ مؤثر في العالم سوى الله تبارك وتعالىٰ وشعارهم في هذا الموضع قول القائل:

ومن يقل بالطبع أو بالعلّة فذاك كفر عند أهل الملّة

فعلى هذا الأصل فليس لجسده المطهر أي تأثير في وجود الخير وزيادة النعمة وإلّا يلزم الاعتقاد بمؤثر سوى الله

---

١. التبرك والتوسل والصلح مع العدو الصهيوني: ٤٠.

٢. العلل ومعرفة الرجال: ٢ / ٤٩٤.

سبحانه ولو كان التأثير ظلّياً وتابعاً لمشيئته سبحانه فإنّهم ينفون ذلك كلّه.

٢. نفي القول بالتأثير لكن تبرّك الصحابة كان في خصوص ما مسّ جسده الشريف لا غير. لكن هذا الوجه مردود بنصّ التاريخ:

**أوّلاً:** إن فاطمة الزهراء بنت النبي الأكرم ﷺ الّتي طهرها الله سبحانه في كتابه وقال: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[1] وأناط سبحانه رضاه وغضبه برضا فاطمة وغضبها فقال النبي:

«فاطمة بضعة منّي فمن أغضبها فقد أغضبني».[2]

وفي رواية أُخرى، انّ غضب الزهراء عليها السلام ورضاها يوجب غضب اللّه سبحانه ورضاه، فقال:

«يا فاطمة إنّ اللّه يغضب لغضبك ويرضىٰ لرضاك»[3].

---

١. الأحزاب: ٣٣.

٢. فتح الباري في شرح صحيح البخاري:٧/٨٤، وأيضاً صحيح البخاري: ٤/٢١٠ دار الفكر، بيروت.

٣. مستدرك الحاكم:٣/١٥٤؛ مجمع الزوائد:٩/٢٠٣، وقد استدرك الحاكم في كتابه الأحاديث الصحيحة حسب شروط البخاري ومسلم ولكن لم يخرجاه. وعلى ذلك فهذا الحديث صحيح عند الشيخين وهو متفق عليه.

إنّها عليها السلام تبركت بتراب قبر أبيها ووضعت شيئاً منه على عينها وقالت:

ماذا على مَنْ شمَ تربة أحمد
ألا يشم مدى الزمان غواليا
صُبّت على مصائب لو أنّها
صُبّت على الأيام صرن لياليا[1]

والتراب الّذي أخذته بنت النبي لم يمسّ جسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ لم تأخذه من تراب داخل القبر الّذي مس جسده، بل أخذّته من تراب ظاهر القبر الّذي يوارى به الميّت.

وهذا هو مضيّف النبي أبو أيوب الأنصاري حيث جعل خدّه على تراب قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم متبركاً به أيّام كانت الحكومة بيد الأمويين وعلى رأسهم مروان بن الحكم.[2]

وهؤلاء هم صحابة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يتبركون بالصلاة في اماكن صلى فيها النبي ومن المعلوم ان تلك الأماكن لم تكن مسقفة أو مفروشة بالحُصُر والبواري بل كانت أراضٍ مكشوفة

---

١. المغني لابن قدامة: ٢ / ٤١١.

٢. مرّ ص ٢٤.

صلى فيها النبي ﷺ فمن المعلوم أن الامطار والرياح والعواصف تفرّق ترابها إلى نقاط بعيدة وترسل غبار الأماكن الأُخرى إليها.

إنّه سبحانه أمر حجّاج بيته الحرام بالصلاة في مقام إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾[1] وليس المقام إلّا جزءاً من المسجد الحرام، ولكنه سبحانه أمر بالصلاة فيه وما هذا إلّا للتبرك به، والمقام الموجود حاليّاً وحتّى الموجود في القرون السابقة لم يكن ممّا مسّه جسد بطل التوحيد.

ومن قرأ تبرك الصحابة بآثار النبي يقف على أن تلك المحاولة ليست إلّا لرأي مسبق ودعماً للمذهب ولم تكن هذه المحاولة وما تقدّمها في خلد أي صحابي يتبرك بآثار النبي ﷺ.

وثانياً: إنّ كثيراً من الأعمال الّتي يمارسها المسلمون في الحرمين الشريفين من تقبيل الضريح والجدران والأبواب وأركان البيت وغير ذلك كله تجسيد منهم لحبّ الله وحبّ

---

١. البقرة: ١٢٥.

رسوله الّذي أمر سبحانه به في قوله: ﴿إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1].

وأمر في آية أُخرى بتوقير النبي ﷺ إلى جانب الإيمان به ونصرته وإتباعه وقال: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[2] والمراد من التعزير هو تكريمه وتوقيره، وبما أن يد المحبين لا تصل إلى يد النبي ﷺ حتّى يقبلونها يقبلون، ما له، به صلة وهذه هي العادة السائدة بين العقلاء فيقبّل الولد ما ورثه من الآباء من ألبسة وكتب وأقلام وتصاوير وكأن منطق الجميع منطق مجنون ليلى العامرية:

أمر على الديار ديار ليلى
اقبل ذا الجدار وذا الجدارا

---

١. التوبة: ٢٤.

٢. الاعراف: ١٥٧.

ومـاحب الديـار شـغفن قـلبي

ولكن حب من سكن الديارا[١]

وقد عدّ البيهقي محبة النبي من شعب الإيمان [٢]، كـما عقد مسلم في صحيحه باباً باسم توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ﷺ [٣].

والعجب أنّ أتباع ابن تيمية ـ الّـذي يـعدّ التـبرك بآثـار النبي ﷺ بعد رحيله بدعة ـ كانوا يتبركون بالماء الّذي فـضل من غسله، يقول تلميذه ابن كثير فـي حـوادث سـنة ٧٢٨ هـ: شرب جماعة الماء الّذي فضل من غسـله، واقـتسم جـماعة بقية السدر الّـذي غُسّـل بـه، ودفـع فـي الخـيط ـ الّـذي كـان فـيه الزئـبق الّـذي كـان فـي عـنقه بسـبب القـمل ـ مـائة وخمسون درهماً، وقـيل إن الطـاقية الّـتي كـانت عـلى رأسـه دفع فـيها خـمسمائة درهـماً، وحـصل فـي الجـنازة ضـجيج وبكاء كـثير وتـضرع، وخـتمت له خـتمات كـثيرة بـالصالحية وبالبلد، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليـلاً ونـهاراً يـبيتون

---

١. مرّ مصدر البيتين ص ٢٠.

٢. شعب الإيمان: ٢ / ١٢٩.

٣. صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الباب ٣٧.

عنده ويصبحون، ورويت له منامات صالحة ورثاه جماعة بقصائد جمّة.[١]

**الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصالحات**

**ثم تمّت الرسالة بيد العبد الفقير**

**إلى الله الغني، عشية يوم السبت**

**ثاني شهر محرم الحرام من شهور عام ١٤٣١ هـ**

---

١. البداية والنهاية: ١٤ / ١٤٢ ـ ١٤٣.

# فهرس المحتويات